

المؤاخاة

بنى الرسول ﷺ مسجده ليصبح مركز القيادة والتخطيط في الدولة الجديدة، وكانت الخطوة الثانية في بناء مجتمع المسلمين في المدينة المنورة. وهي من أعظم ما رواه تاريخ الإنسانية، إنها المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض، وبينهم وبين الأنصار، فالمهاجرون تركوا أوطانهم وديارهم وأموالهم مقبلين على عقيدتهم، مهاجرين في سبيل الله ورسوله، والأنصار تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

ولقد أحسن الأنصار بحاجة إخوانهم المهاجرين فأثروهم وآوؤهم وفضلوهم على أنفسهم مهما كانت حاجتهم، ووصلت هذه المؤاخاة إلى درجة أن أصبحوا يتوارثون بعد الممات، إلى أن قال الله تعالى:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)

(١) الأنفال : ٧٥.

فرجع كلُّ إنسانٍ إلى نسبه، وورثه ذُوُّ رَحْمِهِ، وقد أظهرَ الأنصارُ من ضروبِ السماحةِ والإخاءِ مع إخوانهم ما جعلهم أهلاً لوصف القرآن لهم: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾^(١).

ويروى في ذلك أنَّ سعدَ بنَ الربيعِ وهو من الأنصار، وقد آخى الرسولُ ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف - قد عرضَ عليَّ عبد الرحمن ابن عوف أن يشاطره في ماله وداره ويزوجه إحدى نسائه، فأبى عبدُ الرحمن، وسألَ عن السوق، وراح يشتغلُ بالتجارة في سوق المدينة حتى نما مالهُ وزادَ.

وهكذا رفضَ عبدُ الرحمن أن يعيشَ عائلةً على غيره، وأبى إلا أن يأكلَ من عملِ يده؛ تمجيداً لشرفِ العملِ، وتقديراً للكرامةِ المسلمِ، وهكذا ربطَ الرسولُ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ حتى أصبحت كلُّ أسرةٍ مرتبطةً بأسرٍ كثيرةٍ بسببِ هذه المؤاخاةِ، ونسيَ الجميعُ كلَّ الصلَّاتِ الأخرى إلا هذه الصلةَ الجديدةَ، حيثُ أصبحوا بنعمةِ الله إخواناً، واستعلت أخوةُ الدينِ على ما عداها من صلَّاتٍ. وقد أثمرتْ

(١) الحشر: ٩.

المؤاخاة التي أبرمها الرسول ﷺ، فكانت أساساً لأعظم مجتمع مثالي تألفت فيه معاني الحب والإخاء، وأشرقت بين جنباته شمس العقيدة التي حققت النصر في الغزوات، وتحقق على يديها الفتح المبين.

* * *

وهكذا تألف المسلمون في المجتمع الجديد، ولم يبق غير تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم في دولة الإسلام، فكان الميثاق أو المعاهدة أو الدستور الذي وضعه ﷺ للمجتمع المدني؛ ليصبح المجتمع وحدة واحدة متماسكة.

إنها المؤاخاة التي لم يشهد التاريخ البشري لها مثيلاً.